

في جسد التصوف المذبوح

قراءة واعية على ضوء رباعية أركان الدين لمنشأ علم الإحسان وما تفرع عنه من الزهد والتصوف وربطها بموقعهما الشرعي من الأركان

جمع وترتيب

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

نفخ الروح
في جسد التصوف المذبوح

قراءةٌ واعيةٌ على ضوء رباعية أركان الدين
لمنشأ علم الإحسان وما تفرع عنه من الزهد والتصوف

جمع وترتيب خادم السلف

الحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور

لطف الله به



المطلع القرآني

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ [يونس:٦٢-٦٥]

المطلع النبوي

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري

المقدمة

الحمد لله الذي شرف العباد بعبوديته، وغمرهم بفائض جوده من سر ربوبيته، وبعث لهم نبيا فضله وشرفه بعبودته وعبديته سيدنا محمد بن عبد الله المترقي مراقي العز في حلة العبودة الخالصة بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١] وعلى آله الأطهار المرتقين درج الصديقية الكبرى، والسالكين نهج الإتباع الأحرى، وعلى أصحابه القائمين بحق النصرة والعمل الموفق لخدمة أفضل مسلك ومجرى.

وبعد فقد اقتضت الظروف المحلية والإقليمية في عالمنا المعاصر أن نسبر غور لجج الغايات التي جاء بها الوحي وتهيأت بها أسباب بسط وظائف الرسالة، وقد سبقنا العديد من أهل العلم لمثل هذا العمل بما يناسب المراحل وما تحتاجه من تعليلات وتحليلات أسهمت في فتح أبصار وبصائر المصلين لهذا الشرف الممنوح للبشرية جمعاء، وهناك العشرات من المؤلفات العلمية عن إيضاح أمانة العلم الشرعي وخدمة أهدافه.

ولم يبق لنا في هذه الآونة غير إجلاء بعض الغموض الذي غمر العقول المعاصرة، وإزاحة ضبابية الأفكار المبرمجة لمسخ حقائق هذا الدين وتحويله من مادة نفع وإصلاح وسلام إلى مادة صراع واختلاف وانتقام، ونحن اليوم نعيش هذه الحالة المبرمجة ونعاني من آثارها، ولم يغن العديد من العلماء والدعاة ما مُلئت به كتب التراث الشرعي حول معالجة المستجدات والمتغيرات، بل أخذ بعض الحاملين لهذه الأمانة خيانة المبادئ وإدخالها في سوق العرض والطلب السياسي خدمة لهذه البرامج المعدّة لنسف قواعد العلاقة بالدين والحياة .. حتى صار الدين غريبا عن مجريات التطور الفكري والاجتماعي والاقتصادي والإعلامي وهلم جرا ..

واتجهت أجيال الأمة إلى تعظيم العلوم المادية المجردة، وصارت شرفا لطالبيها ولمروجيها الآخذين بها والمهيئين أسبابها بين الناس ، مقابل الاستغناء المتعمد عن علوم الشريعة والعقيدة ومراتب السلوك، والمقصود بالمتعمد أي: العمل المنهجي المبرمج في هياكل التدرج التعليمي والثقافي في بلادنا العربية والإسلامية، وصيرورتها الحتمية لتكون لغة الأجيال ومحط اهتماماتهم .

وفي ذات الوقت والحالة .. اشتغل فريق آخر ممن لهم صلة العلاقة بالعلم الشرعي إلى تجسيد الصراع الاعتقادي والطائفي والطبقي ليصبح الدين الإسلامي علة تدمر الواقع الداخلي بين المسلمين ويقولب علم الشريعة والعقيدة ومراتب السلوك ضمن أطر القبض والنقض المسيس عند وضع برامج ومناهج التعليم الحديث دينياً ومَدَنياً.

وأصبح العلم الشرعي خلال مراحل التطبيع هدفا للاستنقاص والتهمة والنبز وخاصة في البلاد التي لها رعاية مرحلية للإسلام حتى امتد الاستنقاص والتهمة إلى كافة أقسام علوم الدين والتدين.

وصار التدين في مراحلنا الأخيرة تهمة بالتطرف والإرهاب وتهديد سلامة الدول وما فيها من حضارة وتطور مادي.

ولا زلنا نشهد امتداد البرنامج الفكري المسيس في الواقع العربي والإسلامي المخذول بما يحقق انجاح برامج الكفر والنفاق خطوة بعد أخرى حتى هيمن صوت الإفراط أو التفريط على الأمة في صفتها الرسمية ومن ارتبط بها في الحياة الاجتماعية الشعبية، بينما نشهد الضعف والخوار والاتكالية فيمن بقي من حملة المنهج الإسلامي الشرعي المعتدل حتى ربما جهل أغلبهم قواعد الطريق التي يسلكها والنهج الأبوي الذي نُشِّئَ عليه أسلافه وأباؤه الصالحين فارتكسوا في سيء العادات والتصورات والمفاهيم مما أضاف إلى ضعفهم وضعف منهجهم حجة لأضدادهم ومعارضيهم من المدارس الإسلامية المسيسة ضد المدارس الأبوية التقليدية كلها من غير استثناء.

ولعلمنا الأكيد بأن الخطأ لا يكمن في المناهج والطرائق المسندة إلى المتبوع الأعظم، وإنما الخطأ منحصر في فهوم وعادات واستحسانات الأتباع، ومثل هذه الفهوم والعادات والاستحسانات يمكن تقويمها وضبط سلوك المباشرين لها دون لغة النبز والهمز واللمز والتهم المخرجة فاعليها من ملة الإسلام ، أو حتى في أدنى الأحوال التمييز بين الاتجاهات الثلاثة الإفراط في أهله والتفريط في أضدادهم والالتزام بإحياء النمط الأوسط بين الفريقين.

وإحياء منهج النمط الوسط مفتقر إلى تجديد لغته البيانية وتقريب مسافة معانيه العلمية والعملية، وتعريف المتأخرين من جيل الزمان أهمية معرفة القواعد العلمية والتطبيقات العملية التي يستقيم بها البديل الوسطي المعتدل.

واستجابة لهـذا المطلب أخذنا على عاتقنـا خدمة علم الإحسـان ، وهو علم مراتب السلوك وسمو الذوق وعلم اليقينيات العليا في علاقة العبد بمولاه.

وتأتـي هـذه الخدمة عقب خدمتنا لعلم فقه التحولات المعـروف بعلم آخر الزمان أو العلم بعلامات الساعة.

فبهـذا العلـم تحققت الوحدة الرباعية لأركان الدين وأموره موضوعا وشـرعا ، وبقي علينا أن نصوغ علاقات الارتباط بين هذه العلوم وغيرها من أركان الدين ؛ لينشأ طالب العلـم والمريد والسـالك على بصيـرة من أمره ومعرفته لمنطلق ديانتـه وتطبيق أمانته .. والله الموفق والمعين.

علم التصوف علم قرين لعلوم الشرعية والعقيدة

مع انتشار ضبابية الفكر الإنساني وامتزاجه في بعض المراحل بالعقل الإسلامي المعاصر .. تكوّن لدى الكثير من المسلمين تصور خاطئ عن التصوف بعمومه دون تمييز بين غلو ولا جفاء.

والعجيب أن الجميع يقرون بأركان الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان، ويتعبدون الله بما أثمرته اجتهادات المذاهب الفقهية في الإسلام على اختلافها ووقوعها في طرفي الإفراط والتفريط بلا استثناء، لكن الكثير منهم وخاصة من يتأثر بلغة الفقهاء المتشددين وعلماء الجرح والتعديل يبررون الإفراط والتفريط في أقوال وأحكام المذاهب الفقهية والعقدية المتنوعة، ولكنهم في الغالب لا يبررون ولا يتجاوزون عن ما يخص التصوف وأهله، ويظل سبب ذلك مجهولا لدى الغالبية من أهل العلم فضلا عن عوام الأمة.

وإذا ما أمعنا النظر في ذلك سنجد أن انعدام استيعاب ركن الإحسان في عقول علماء الشريعة والعقيدة المتفوهين بانتقاد التصوف عموما هو عدم ممارستهم الفعلية لضوابط هذا العلم ومواقف أهله.

أو بمعنى أدق .. كان مثلهم مثل العلماء الذين طعنوا بقواعد علم الجرح والتعديل في أكابر الأولياء من خلال النظر في العيوب والنواقص مع إغفال الفضائل ومراتب الترقي في مقامات الإحسان، وبنى المغرضون على هذا الموقف تحجيم هذه المآخذ بغرض الحط من مقامات الرجال، وبه تحط مراتب علم الإحسان المشروع كما هو حال من طعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال المتناقضات والأحداث التاريخية، ليحط من قدر الرسالة وصاحبها.

إننا لا نبرئ الصوفية من الإفراط والتفريط كما لا نبرئ معارضيهم من ذات العلة مع اختلاف مادة ونوع المواضيع المتناولة بالطعن والتجريح، والذي نحن هنا بصدده الخروج من كلا العلتين والبحث عن مخرج ومعالجة لهذا الصراع المحتدم على مدى

التاريخ.

وأعتقد أن المخرج كامن في إعادة الدراسة والتطبيق لمنهج النمط الأوسط نمط الأئمة الصدور في أشد مراحل الحرج والاختلاف إضافة إلى الاعتراف بالتصوف وعلاقته المباشرة بركن الإحسان بصرف النظر عن أخطاء بعض معتنقيه.

والإحسان علم خدمه علماء التصوف كما خدمت بقية العلوم بعد عصر التدوين، وكما وضعت قواعد وتطبيقات ومصطلحات علوم التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها أيضا وضعت قواعد وتطبيقات ومصطلحات علم التصوف المتفرع عن علم الإحسان.

واتسع الأخذ بهذا العلم حتى ظهرت مسميات حملت اسم التصوف الإسلامي وهي لا تمت إلى الإحسان ولا إلى الزهد المشروع ولا إلى التصوف الذوقي بصلة، ويلزمنا أدبيا وشرعيا أن نعزل هذه المسميات سواء في الأفراد أو المجموعات أو المراحل عن علم التصوف المنتمي إلى أهل النمط الأوسط.

بل ويجب إنقاذ التصوف الإحساني من هذه التخبطات الفكرية والتهيؤات النفسية والتصورات الشخصية .. فالذي ندين الله به أن علم التصوف هو ما تفرع من مصطلحات وتبويبات وقواعد علم الإحسان القائم على ركنيه الأساسيين (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهذا العلم لا ينحصر عند من عرف الشريعة أو العقيدة أو كليهما، وإنما يختص به من حقق العلمين:

- علم الإيصال: وهما الإسلام (شريعة) والإيمان (عقيدة).
- وعلم الوصول: وهو الإحسان بقسميه (علم مراتب السلوك).

إن حرصنا الدؤوب على خدمة مذهب وفئة وفرقة إثبات نسبته إلى الحق في رؤيته، ونفي السلامة أو تشويهها عند غيره حتى تجزأ فينا المجزأ وتفرق المتفرق، والقرآن يخاطبنا بقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] .

إيضاحات حول التصوف ومصطلحاته

لكل علم قواعد ومصطلحات وتطبيقات تضبط مفاهيمه الأساسية وتفريعاته القياسية، وليس في الأرض علما شرعيا ولا وضعيا إلا وله قواعده ومصطلحاته، وله مراحل مر بها عبر القرون حتى اكتملت حلقاته وتعريفاته وأقسامه وفروعه .. سواء كان الاكتمال في منحى الاعتدال المعول عليه عند الثقات أو ما حصل لدى فريقي الإفراط والتفريط من الجنوح والغلو والجفاء، فقد حفظت المؤلفات والدراسات قديما ما لا مزيد عليه في الإيضاح والبيان.

والذين أصابهم داء الأمم من هذه الأمة وقعوا فريسة الرؤى الإستشراقية التي اتخذت من طرفي الإفراط والتفريط حجة لنسف التصوف من أساسه قواعد وتطبيقات.. حتى صار الأخذ بالتصوف تهمة على غير تمييز، واستنقاصا في حق المترسم به والمنسوب إليه.

وقد اشتغل العديد من العلماء الأولين بنقد الصوفية قبل مرحلة الإستشراق المشار إليها مبينين أوجه الإفراط من جهة وأوجه التفريط من جهة أخرى، وكان لهم الدور الفاعل في إيضاح الخلط والخبط الذي أغرق فيه المترسمون بهذا المنهج الفكري، وأنصفوا مذهب الاعتدال السليم ومن ترسم به، وهو المذهب المعول عليه في حفظ الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في مهنج علم الإحسان بالخصوص والذي نحن هنا بصدد الكلام عنه دون غيره.

إلا أن المستشرقين فيما بعد مرحلة الاستكبار المعروفة بمرحلة الثورة الصناعية وجدوا فيما كتب عن غلو منتسبي الصوفية وجفاء بعضهم سُلّماً لضرب الإسلام من داخله بوضعهم الدراسات البحثية المغرضة التي صارت فيما بعد مرجع الباحثين الأكاديميين في المرحلة المعاصرة، ولأجل تبيين هذه العلة المستجدة تناولنا هنا مسألة الإيضاح لأصول التصوف الإسلامي وتجديد هويته الشرعية باعتباره ركن من أركان الدين.

ففي هذا الإيضاح الأصولي يتبين المنطلق لهوية العلم ومشروعيته مثله مثل الأركان الأخرى التي تناول العلماء قواعدها ومصطلحاتها وتطبيقاتها دوراً كبيراً في إعادة القراءة الشرعية للركنية بعمومها تأصيلا بحديث جبريل وتفريعا بالنظر في وظائف كل ركن من الأركان، ومكانه في بناء منهج الديانة والتدين.

فالأصل في التصوف الزهد، والزهد أساس علم الإحسان ولفظة ((التصوف)) مصطلح اتخذه البعض تعريفا للزهد في الحياة الدنيا وحطامها.

واختلاف العلماء في التعريفين راجع إلى توجه القلب والعقل نحو المصطلح المناسب ونبدأ بلفظة الزهد لكونها أقرب معنى لعلم الإحسان، وأول الزهد الذي عرفه الإسلام الزهد في حطام الدنيا ملكا ومالاً وتمتعاً، وموقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك.

وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول زاهد في هذه الأمة مجسدا حقيقة الإحسان المشروع، حيث عرض عليه كفار قريش شروطهم الأربعة لإثناءه عن الدعوة إلى الله، فكان رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الشروط هو عين الزهد لمن سماه زهدا وهو عين التصوف لمن سماه تصوفا، وهو اتخاذ موقف لمن سماه موقفا.

إذاً فإعادة الموضوع إلى أصله بعيداً عن اتجاهات الإفراط والتفريط هو الخير كله ليدرك المتمسكون بلفظة الزهد أن الهدف المتناول والمختلف عليه واحد من حيث التعريف والهدف، وربما اختلف في التطبيقات والقواعد بين المُصْطَلَحَيْنِ فكلاهما يحمل معنى واحد.

وأول الزهد: زهد امتلاك القرار السياسي.

وكان هذه الموضوع هو قاعدة الزهد في علم الإحسان منذ بدء رسالة الإسلام، وهذا هو ما بينه فقه التحولات المعني بدراسة ظواهر الاختلاف، وأسباب الصراع الفكري بين المسلمين.

فالزهد في مرحلته الأولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الأعلام يندرج تحت المطالب الأربعة التي أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبلها من قريش وبقي يحمل راية الدعوة حتى اجتمعت له في المدينة المنورة أسباب

الأخذ بالأمور على مقتضى الدين الإسلامي دون منصب سياسي أو موقع قرار رسمي، وإذا ما قيدنا مبدأ الزهد بهذه الشروط الأساسية فإن مرحلة الرسالة وشطرا من مرحلة الخلافة الراشدة كانت على هذا القبيل من الزهد الخالص الذي يطلق عليه في فقه التحولات بتصوف المواقف وخاصة فيما يخص قرار الحكم حيث زهد الإمام على رضي الله عنه في الخلافة عندما تمت بيعة الشورى ووافق على قبولها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتخذ موقفا يبطل به أو يعارض قرار الشورى المتخذ.

وظل الزهد المرتبط بالعبادة والتقلل من المال والشهوات مسلك الكثير من الآل كالإمام علي والسيدة فاطمة، والأصحاب كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبي الدرداء وعبدالله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو ذر وغيرهم حتى فشا المال من جباية الغنائم والفتوحات وخاصة في عصر سيدنا عثمان رضي الله عنه واضطربت شؤون الدولة بما استحدثه بعض بني أمية من التدخل في امتلاك القرار وصياغته، وبدأ بعض أهل الورع والزهد من اتخاذ المواقف الصلبة أمام التمتع والإفراط فيه كموقف أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وانقسم الناس بين زاهد محافظ على نمط الزهد في العصر السابق ومنهم زاهد متمتع بالنعم مع الشكر عليها.

وفي عهد خلافة الإمام علي رضي الله عنه عمل جاهدا لإعادة شرف الزهد الأساسي إلى نصابه .. إلا أن الملابسات السياسية وأطماع الرغبة في الامتلاك والسلطان والجاهات عَقَّدتْ الأمور العامة أمام المعالجات والمراجعات وآل الأمر إلى ما آل إليه من واقع الحرب والاشتباك والاشتغال بتثبيت دولة القرار أمام المنشقين ضدها من السياسيين والخوارج في معارك الجمل وصفين والنهروان.

وكانت النتيجة الحتمية حصول انشقاق في القرار بين أتباع الإمام علي وأتباع جند الشام من جهة، وبين الإمام علي والخارجين عن طاعته من الخوارج.

وفي هذه الملابسات الفكرية والعسكرية نَفَّذَ الخوارج خطتهم في قتل الإمام علي رضي الله عنه .. وخلال مرحلة تمريضه أسس لأبنائه وأتباعه خريطة الزهد في الثأر له، وفي مسألة الحكم والسلطان بقوله: (يا بني عبد المطّلب ، لا ألفينّكم تخوضون في دماء المسلمين خوضاً ، تقولون : قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي).

انظـروا إذا أنـا متّ من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا تمثّلوا بالرّجل ، فإنّي سـمعت رسـول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ يقول : « إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور »[1].

وأجمع أهل الحل والعقد على تولية الخلافة للإمام الحسن وكان عالما عارفا بما يدور في واقع المجتمع آنذاك، ولم يمكث سوى ستة أشهر ثم تنازل عن قرار الحكم الشرعي بُعَيـد انتهاء مدته المقررة بالنص النبوي ليتحول المجتمع إلى الملك العضوض، وزهد آل البيـت في سـكنى العراق وانتقلـوا جميعا إلى المدينة المنـورة معرضين عن الحكم والسـلطان ملتزميـن بشـروط الزهد العملي مع أخـذ نصيب من التمتع بالنعم والشـكر عليها.

وبعد موت الإمام الحسن زهد الإمام الحسين في موالاة الحكم الأموي واتخذ منهم موقفـا صلبا سـابقا ولاحقا حتى صـار غرضا وعدوا يتربصون به مـع تمتعه بنصيب من المتع الدنيوية مع الشـكر عليها، وزهد أيضا بعد أن أُشيعت بيعة أهل العراق له في عهد يزيد من أن يبقى في الحرم خشية إسالة الدم وإشاعة الذم واستفحال أمر الفتنة في البلد الحرام.. حيث يعلم يقينا أنه لا طمع في إقامة خلافة شـرعية في مرحلة ملك عضوض نصت عليها أحاديث من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.

وزهد أخيرا في الحياة كلها ولـم يقبل شروط الاستسلام التي وضعها عليه جيش يزيد في كربلاء فقاتل دفاعاً عن نفسه وأهله حتى قتل في معركة غير متكافئة.

وهـذا هـو عين الزهد الذي بنى عليـه آل البيت مواقفهم، وكان ظهـوره جليا فيما بعد المرحلة الكربلية متجسداً في موقف زُهْد الإمام علي زين العابدين من عدم الأخذ بالثأر وعـدم اسـتتباع الباحثين عن قرار الحكم والسـلطان، وزاد عليه الاهتمام والاسـتغراق بأمـور العبـادة والطاعات وكمال التبتل إلى الله، وبهـذا أضاف إلى الزهد حقيقة مفهوم علم الإحسان ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، وبه ظهر التصوف (علم التزكية).

لقد كان الزهد في الملك والسـلطان والجاه محور السـلوك لصدور الرجال المقتدى

(١) المختار من مناقب الأخيار لابن الاثير.

بهم قبل ظهور مصطلح التصوف، وبهم تأثر العشرات من الآخذين عنهم وكونوا عزلة إيجابية عن الأطماع والتكتلات السياسية والتيارية المتكاثرة في هذه المرحلة، وكان رائد هذا المبدأ الإمام علي زين العابدين الذي رسم صورة الزهد الكامل في الثأر والقرار، والتبتل الكلي للواحد القهار، وصار هذا الموقف أول طريق لمبتدأ اتجاه التصوف العام بارزاً في سلوك ومواقف العديد من المسلمين.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الزاهدين طلبة العلم الآخذين عن الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه وهم قوم كثر ومنهم أبناؤه الإمام الباقر وزيد والحسين والحسن وأحمد رضي الله عنهم، ومن غيرهم كالزهري وعمرو بن دينار والحكم بن عقبة، ويحيى بن سعيد، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو عروة، وطاووس بن كيسان، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومن أخذ عنهم من طبقة تابع التابعين كمالك بن أنس وسفيان بن عيينة والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأبو يوسف وكان هؤلاء وأشباههم أول من تجسدت في أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم الأنفاس الصوفية القائمة على تحقيق علم الشريعة والعقيدة ومراتب السلوك، حيث صار مصطلح التصوف موقفا معبرا عن المعرضين الزاهدين عن المشاركة في شؤون الحكم والسياسة وحامليها بسبب ظلمهم وتعديهم واستعاض عن ذلك بطلب العلم وترتيب وظائف السلوك، وخاصة في مرحلتي الملك العضوض الأول والثاني.

وظهر التصوف على صورته العملية في الرعيل الأول ممن أشار إليهم الإمام القشيري في رسالته بقوله(ص ١٠٠):

إعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم بسمة علم سوى صُحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدرك أهل العصر الثاني سُمي من صحب الصحابة التابعين، ورأو ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين.

ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد.

ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا، فانفرد

أهل السنة[1] المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة.

وشرع الإمام القشيري رحمه الله في سرد أحوال هؤلاء الرجال في هذه المرحلة مبتدءاً بإبراهيم بن أدهم، وذوالنون المصري والفضيل بن عياض الخراساني، ومعروف بن فيروز الكرخي، والسري السقطي، وبشر بن الحارث الحافي، والحارث بن أسد المحاسبي، وداؤود بن نصير الطائي، وشقيق بن إبراهيم البلخي، وأبو يزيد البسطامي، وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم ممن بلغ عددهم قرابة ٨٣ فردا من عصور شتى وبلدان شتى جمعهم في كتابه.

كما اردف بذكر الأشياخ الذين أدركهم من مثل الحسن بن علي الدقاق، وأبي عبد الرحمن السلمي، وعلي بن جهضم مجاور الحرم والشيخ أبي العباس القصاب بطبرستان وأحمد الأسود بالدينور، وأبي القاسم الصيرفي بنيسابور وأبي سهل الخشاب بنيسابور أيضاً، وأبي طاهر الخجندي وقيل الخزندي. (الرسالة ص٢٣٠ (طبعة دار المنهاج).

والأمر الذي نود بسطه للقارئ أن هذا النوع من التصوف المشار إليه في الرسالة هو: (تصوف التجريد) وهو أعلى درجات التصوف في مراتب أهله، ولكنه في حد ذاته لون من ألون فهم الدين الإسلامي في تطبيقات سلوك الأفراد من خواص الخواص، وربما لا يناسب عموم الآخذين بمنهج الزهد في مراحل التاريخ الإسلامي، وإنما يحملهم واسع الشريعة المطهرة.

ومن هذا الباب يفهم أن الزهد أوسع معنىً من التصوف والتصوف أوسع تطبيقا من الزهد، فالتصوف فرع من فروع الزهد، والزهد فرع من فروع علم الإحسان، وفي علم

---

(١) أهل السنة هنا هم من تبع الإمام الحسن في قبول التنازل حيث سميت تلك الحادثة بعد التنازل بأهل السنة والجماعة حيث اجتمعت كلمة المسلمين بالصلح المشار إليه في حديث: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))، وهذا هو أصل التعريف بأهل السنة والجماعة تمييزا لهم عن الناكثين لمواقف الإمام الحسن ممن كون منهج الانتقام والمطالبة بامتلاك القرار وتفعيل الصراع وهم ما بين فريق اجتهد وصح له اجتهاده وانتهى بالاستشهاد في سبيل الله وبين فريق تبنى الفتنة على غير سابقة مثال شرعي منصوص عليه يقتدى به، فألهب الصراع ووسع دائرة النزاع.

الإحسان تتفاوت مراتب الآخذين به كما تتفاوت مراتب الآخذين بمبدأ الزهد، وكذلك تتفاوت مراتب الآخذين بالتصوف العام، وتتفاوت مراتب الآخذين بمبدأ التصوف الخاص ولكل مرتبة قواعد ومصطلحات ولتطبيقها مريدون وسالكون وناسكون وواصلون.

والسؤال الذي لا بد من طرحه هنا هو يخص ما حصل من إغفال عن ذكر الزاهدين من آل البيت النبوي ومن ارتبط التصوف فيما بعد بمواقفهم وسلوكهم في الرسالة القشيرية.

هل كان ذلك سببه الوضع السياسي في مرحلة الملك العضوض الأولى والثانية حتى خشي المؤلفون كالإمام القشيري أن يكون في ذكرهم والإشارة إليهم ضرر يلحق به أو بهم فتجاوز عن ذكرهم لإخفاء شأنهم عن عيون الرقباء، أم أنهم كانوا لا يعزون التصوف إلى مسألة الزهد في امتلاك القرار.

مع العلم أن أهل البيت هم عيون الزهد وأشياخ مبدأ التصوف الأساسي المتفرع عن علم الإحسان، ويشهد على ذلك تسلسل أسانيد التصوف إلى أئمة آل البيت من كافة الطرق والمشيخات، ومنهم إلى الإمام علي رضي الله عنه صاحب الموقف الأول في زهد القرار كموقف من مواقف الإحسان مرتبة ومقاما، وإليه ترجع كافة أسانيد أهل التصوف المشروعة في المراحل المتلاحقة.

ولا شك أن نسبة التصوف في مدلول مراحله اللاحقة مأخوذ من مظاهر زهد الإمام علي زين العابدين، وفي هذا رد على من نسب التصوف للجاهلية أو نسبه للفلاسفة ومن نحا نحوهم من أصحاب الرهبانية فما تلك النسبة إلا سوء فهم لتطور الزهد الإسلامي المسند.

فالسند المتصل بمفهوم التصوف هو سند آل البيت في مواقفهم بدءا من موقف الإمام علي من الحكم والصراع السياسي ومرورا بموقف الإمام الحسن في التنازل وموقف الإمام الحسين في تجنيب الحرم إسالة الدم، ثم موقف ولده المعني بثأره الإمام علي زين العابدين، وقد أضاف على موقف أبائه زهده في الحكم وفي الثأر، وأسس مدرسة السلام والتعايش برغم مظلوميته الواضحة.

وأخذ بهذا المبدأ كافة الآخذين عن الإمام علي زين العابدين ومنهم أبناؤه كما سبق

ذكره ويتصل سندنا في التسلسل العلمي المنهجي للتصوف إلى هذه الأصول، فالأخذ عن الإمام علي زين العابدين وأولاده ومنهم الإمام محمد الباقر الذي نحا نحو موقف أبيه ومن أخذ عنه، ثم جعفر الصادق وقد نحا ذات المنحى في الزهد والتصوف ومن أخذ عنه، ثم أبناء الإمام جعفر الصادق وهم: موسى الكاظم وإسماعيل وعبد الله الأعظم وعلي العريضي ومحمد الديباج، ومنهم من يتصل سندنا به وهو أصغر أولاد الإمام جعفر وهو الإمام علي العريضي ومنه إلى ولده محمد ومنه إلى ولده عيسى ومنه إلى أحمد المهاجر الذي زهد في العراق كلها تجنبا للذم والدم وأسس مدرسة النمط الأوسط بحضرموت بعيدا عن ثائرات الصراع والمنافسة.

إننا في دراستنا هذه نؤكد كل التأكيد على وجوب دراسة منهج التصوف من خلال مسيرة أهل النمط الأوسط .. حيث لا علاقة لهذا النمط بما جرى من صراع واختلاف وغلو أو جفاء في المراحل المتقلبة، بل ظل هذا المبدأ ملتزما بالاعتدال المتوارث بسنده الاعتباري المثبوت.

فالذين ربطوا التصوف كمبدأ بمذاهب الانحراف الغالية، ونحتوا لهذا المنحى تعليلات غريبة ومريبة، وشملوا بها الاتجاه الصوفي كله، من حيث النشأة وإشاعة المبادي والتطبيقات، فالحق الذي لا غبار عليه أنهم أي المتكلمين والمتكلفين قد خلطوا الأوراق بعلم وبغير علم مما نتج عنه تفسير مسيرة الحق المسند معلولة بمسيرة الباطل المنقطع في أهله.

حيث لا علاقة للتصوف المتفرع عن الزهد المشروع بجنوحات وشذوذ أبو هاشم الكوفي ولا بعبد الكريم الكوفي، ولا بأبي حيان التوحيدي، ولا بأحمد الجهمي (ت ٢٠٠هـ)، ولا بهشام الحكم الكوفي الرافضي المشبّه وتلميذه أبي علي الصكاك ، ولا بغيرهم ممن أخذت بهم فلسفات متنوعية هندية ويونانية ويهودية ونصرانية وفارسية وثنية اعتمدها الباحثون الأولون واللاحقون مصدرا للتصوف اسما ورسما ومبادئ ، فهؤلاء جميعا لهم دراسات خاصة تتناول الشذوذ لدى المنتسبين للإسلام تحت مسمى الزهد الوضعي المخترع من لفيف الأفكار الشاذة، أما التصوف النابع عن الزهد ومواقف آل البيت أهل الإحسان فلا.

ولعل العلة المستفحلة لدى الباحثين السابقين نظرهم إلى ثمرات السلوك المشتهر

لدى أولئك في عصور الفتن والصراعات الطائفية والشعوبية، ولم يلتفتوا إلى تصوف الإسناد النابع من سلوك ومواقف آل البيت الكرام في أشد مراحل التعدي والتحدي...

ونحن في هذه الدراسة العلمية نستعيد القراءة التاريخية لنشأة التصوف وأئمته الذين يقتدى بهم على الوجه الشرعي الصحيح بعيدا عن توهمات الباحثين الغارقين في التعليلات الفكرية الوضعية.

هذه التعليلات التي دفعت بهم إلى بحث مسمى الكلمة .. ومتى ظهرت ومن كان يوصف بها .. فنزعوا بأنفسهم إلى مزالق الشذوذ والجنوح، وانفتح باب من الشطط والارتياب لا علاقة له بحقيقة التصوف الإسلامي السديد.

لماذا ينكر البعض على التصوف ؟

التصوف مقتبس من علم الإحسان وأصله صفاء النفس وتجريدها من درن البشريات الدنيئة إلى تحقيق معنى ((الدين المعاملة)) بِدأً بمعاملة العبد مع ربه، ثم مع دينه، ثم مع الخلق.

وكان مظهر الإنكار على هذا العلم مرتبط بحصول أخطاء واردة لدى بعض المتصوفة الغلاة وهو الجنوح عن الوسطية الشرعية إلى الإفراط أو التفريط.

والإفراط: هو الغلو في الاعتقاد والشطح المفضي إلى الانتقاد خاصة فيما يخالف أمر الشرع ظاهرا وباطنا كالحلول والاتحاد، والقول بوحدة الوجود..

أما التفريط: فهو ما وقع فيه فريق آخر من ارتكاب منهي عنه أو ترك واجب شرعي مأمور به تحت حجة البلوغ إلى درجة الكمال وسقوط تكليفات الأعمال كما يقال عن الراوندي وأبو حيان التوحيدي، ومطيع بن إياس وغيرهم ممن رموا بالزندقة.

وبين الإفراط والتفريط يأتي التصوف المشروع المقرر بحديث : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

وقد انبرى جملة من علماء الأمة ضد ما يقوم به الغلاة والجفاة وصنفوا في ذلك المؤلفات والكتب العديدة، وكان هذا في الفترة الأبوية الشرعية التي كان قرار الحكم والعلم دائر بين المسلمين سلبا وإيجابا.

أما التصوف في المرحلة الغثائية بعد نقض قرار الحكم والعلم عن المسلمين فقد صار قرار الأمة بيد عدوها وخاصة بعد سقوط دولة الخلافة، فالأمر قد تغير حالاً وحكماً عما كان من قبل إذ دخلت قضية الصوفية ضمن إطار السياسة العالمية القائمة على مبدأ فرق تسد.

حيث أن الكل يعلم أن آخر قرار حكم وعلم كان بيد آخر الخلفاء اعتبارا وهو السلطان عبد الحميد الثاني وكان نظام الدولة ومعتقدها منهج أهل السنة والجماعة مرتبطا بالتصوف وحب آل البيت المعتدل، وكان لعلمائها الأثر الكبير في الحياة السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية في العالم العربي والإسلامي كله، وكان التصوف سائدًا ورائدًا في كافة المجتمعات المنطوية تحت قرار دولة الخلافة.

وعندما هيمنت على قرار الأمة دولة الفكر العلماني وأعلن في تركيا قيام الجمهورية التركية وإشاعة مبدأ القومية (التركية للأتراك والعربية للعرب) اخترقت القوى السياسية العالمية بلاد المسلمين وأخذت تعمل على نقض كل موروث تقليدي أبوي قديم، وَتُرَسِّخ كل دعوة مخالفة للقديم رغبة في زعزعة أوضاع العالم الإسلامي المُسْتَعْمَرْ.

فارتبط بديهيا امتداد الاستعمار مع حرب التصوف الإسلامي السائدة آنذاك، وعملت القوى المتحالفة للأغراض السياسية على محاربة ما يلي:

- الولاء لآل البيت على منهج أهل النمط الأوسط.. ليظهر في بعض بلاد المسلمين الولاء القائم على الإفراط والتفريط.
- الولاء للتصوف على منهج أهل النمط الأوسط، وإظهار التصوف الغالي أو الجافي.
- الولاء للمذهبية الإسلامية على منهج أهل النمط الأوسط.. ليظهر لصراع المذهبي المسيس.

وفي هذه المرحلة الانتقالية من سيادة دولة الخلافة المؤتلف إلى سياسة الاستعمار المنحرف عملت القوى الفاعلة على سحب البساط من حملة المنهج الثلاثي السابق ذكره: (الولاء لآل البيت المعتدل ـ والتصوف ـ والمذهبية) ليرسخوا بديلها في البلاد التي استعمروها وألقوا بضلالهم فيها كل فكر مناقض ومتناقض بين المسلمين وزرعوا الفكر العلماني من جهة والفكر الشيوعي الإلحادي من جهة أخرى بالوسائل الإعلامية المتنوعة وجندوا القوى الاستشراقية للبحث في إفراط التصوف وتفريط المنتسبين إليه وأعادوا صياغة البحث العلمي حول التصوف ونشأته وعزلوه عن أصله الشرعي (علم الإحسان) ليبقى مجرد سلوك اختياري نشأ تحت وطأة الظروف الفكرية المتنوعة.

وكان لعزل التصوف عن موقع القرار وإثارة المتناقضات والملابسات حولَهُ في العقيدة والعبادات والعادات سببا في الصد عنه وعن تأثيره الروحي في العالمين العربي والإسلامي.

والأخطر من ذلك كله عند ما ظهرت في هذه المرحلة المبرمجة دعوات دينية وحزبية موجهة همها طي صفحة التصوف وإلحاقه بعقائد الشرك والوثنية واستبدال ذلك بالفكر الإسلامي المتطرف مع بناء جيل المدارس والجامعات المنشغل بعلم الخدمات والوظائف، وقد أدت هذه المعادلة دورها في صرف نظر الأجيال عن علم الإحسان بعمومه كما حببت إليهم استتباع وسائل الكفر والفسوق والعصيان.

فصار التدين على ثلاثة اتجاهات:

١. اتجاه تقليدي متهالك تنخره الآفات بالإفراط والتفريط وبعض التوسط والاعتدال .

٢. اتجاه تجديدي مسيّس يعمل على تفكيك عرى الثوابت لخدمة المتغيرات .

٣. اتجاه علماني وإلحادي مدعوم يمسخ الأجيال ويحجزها عن أمور الديانة والتدين إلى خدمة الحياة والتمدن.

وقد استفحل الاتجاه الثاني وتفرعت منه فروع التطرف والإرهاب وتفرع من الاتجاه الثالث ظهور الليبرالية والعقلانية المجردة ولم يبق للإسلام غير الحفظ الإلهي الموعود ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾.

ومن أنفاس الاتجاه التقليدي المتهالك تهب نسمة تفاؤل إيجابية تبشر الأمة بالخير ، وتفتح بابا من الأمل ، المشوب بالحذر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

الأنفاس الصوفية في مراحلها الزمانية المتحولة

تتحدد مراحل التصوف الذوقي في تاريخ الأمة الإسلامية بمواقف آل البيت الكرام كاتجاه علمي شرعي اختاروه لحفظ ألسنتهم من الذم وأيديهم من الدم وقلوبهم من الهم عملاً بأدب الإحسان الداعي إلى ذلك وخاصة عند اختلاط الأمور وبروز رؤوس الفتن في الحكم والسياسة وغيرها، وتأثر التيار العلمي بنوازع السلطان الجائر والقرار السائد..

تصوف المواقف

وكانت تجربة آل البيت أعظم تجربة لمن ألقى السمع وهو شهيد، فالإمام علي رضي الله عنه زهد في الخلافة لما اتفق على تعيين غيره فيها، وظل موافقا غير معارض ولا ناقم على مجريات الأمور في مراحل خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، بل قد كان موقف الإمام علي رضي الله عنه من كرسي الخلافة موقفاً صريحاً لا يحتمل التأويل فهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول: (دخلت على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال رضي الله عنه: (والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن اقيم حقاً أو أدفع باطلاً ..)[1]. اهـ.

وتلاه في مقام الزهد من آل البيت الإمام الحسن ابن علي حين تنازل عن سلطة الحكم رغبة في الصلح وإطفاء ثار الفتنة بقوله: (إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماؤكم بآخرنا وإن (فلان) قد نازعني أمرا أنا أحق به، ولكني تركته طلبا لما عند الله وحقنا لدمائكم)

ثم تلاه الإمام الحسين عندما زهد في الحياة كلها دفاعا عن موقفه وعن أهل بيته ولم يقبل مساومة البغاة ولا نفاق الغلاة، وقال: (لئن أقتل خارج الحرم بشبر خير من أن أقتل داخله بشبر وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يستحل الحرم

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي.

بكبش)) وفي رواية ((برجل فلا أريد أن أكون أنا)).

وجاء من بعده ولده الإمام علي زين العابدين إثر المعركة الكربلية لرسم منهج النمط الأوسط الذي وصفه جده الإمام علي بقوله: (خير الناس أهل النمط الأوسط يرجع إليهم الغالي ويتبعهم التالي)، فكانت مواقف الإمام علي زين العابدين هي أساس هذا الموقف النمطي العالي حيث زهد في المطالبة بالثأر والحكم معا واستعاض عن ذلك بخدمة العلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى صار التبتل واعتزال الشر وأهله منهجاً، والانصراف إلى العلم والعمل عقيدة في الأتباع والمريدين من التابعين وتابع التابعين الذين التزموا التوسط والاعتدال في المعاملة مع فريق الحكم الظالم وفريق المعارضة لهم من الفرق والجماعات حتى تكونت مدرسة فكرية واسعة الأبعاد متعددة الاتجاهات نزع بها بعض الغلاة كما سبق ذكره إلى الإفراط وبعضهم إلى التفريط، وولج الفريقان في المفارقات من الاستغراق في علوم الحقائق من جهة أو من إسقاط التكاليف والواجبات بمبررات عقدية مركبة من جهة أخرى، واشتغل المغرضون بربط التصوف بنمطي الافراط والتفريط حتى غلب الاشتغال بهذا المسمى على التصوف كله وفسر التصوف بالغلو والجفاء لدى الجميع ومن المعترضين من ربط التصوف بمنهج السلطان رغبة في تصنفيهم وإضعاف أثرهم وتأثيرهم.

وظل نمط الاعتدال والتوسط منتشرا بين حاملي مبدأ الاحتراز من الذم والدم عبر المراحل المتقلبة بصرف النظر عن الصراع المحتدم بين الأجنحة الأخرى، وقد حفظت مؤلفات الجميع ومصنفاتهم أنفاس كل توجه ووجهة غالبة على أصحابها، بحيث يتبين للباحث المعتدل سلامة فريق النمط الأوسط من طرفي الإفراط والتفريط.. كما ثبت سلامة هذا النمط من كل الألقاب المتداولة بين الفريقين من لمز كل فريق للآخر بالنواصب والروافض.

فالنواصب: لقب أطلق في حقيقته على الجفاة القاتلين ممن اشتركوا في فتنة عهد عثمان، ومقتل الإمام علي، وقتلة الإمام الحسين ومن سار على نهجهم حكما وعلما.

والروافض: لقب أطلق في حقيقته على الخارجين عن الإمام زيد بن علي خلال مناوءته لحكام عصره وعلى الغلاة الخاذلين ممن اشتركوا في إخراج الإمام الحسين ببيعتهم المُرَحّلة، ثم خذلوه في المعركة الفاصلة بكربلاء، واستمرؤا لعن الشيخين

وعِرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن سار على نهجهم من بعدُ في مطالبة الأمة بثأر كانوا هم طرفا فيه.

لقد ثبت يقينا أن نمو الوعي الشرعي لأركان الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان لدى أهل النمط الأوسط ومن ارتبط بهم قد جعل من التصوف موقفا فكريا شعبيا ضد التيار الفكري السياسي بكافة أنواعه الجانحة، وكان الصمت والسكوت والعزلة موقف عملي يجنب الصوفي الاصطدام بحملة القرار في الحكم أو العلم، أو المساندة لظلمهم.

وكان هذا الموقف للنمط الأوسط تميُّزا وتخلصا من البغاة القاتلين ومن الغلاة الخاذلين، وكلاهما يحمل أجندة سياسية هاتكة لا حل فيها سوى الذم والدم، وبمرور الزمن والمراحل اختلطت الأوراق واتسع الخرق وطغت الشبهات وكثر الأدعياء وتحول الدين بعمومه إلى مطية للرزق والجاه والسلطان إلى اليوم.

وهـم الذيـن نزعوا بأنفسـهم منزع السـلامة وكان أغلبهـم ممن أخذ وتتلمـذ على يد الإمـام علي زين العابديـن، وظهرت على مواقفهم إشـارات الزهد وعلامات التصوف كسـعيد بن المسـيب ٩٤هـ وسـعيد بن جبير ٩٥هــ والإمام محمد الباقـر وأخيه زيد[١] وجعفـر الصادق وعبد الله بن المبـارك (١٨١هـ)وأبو حنيفة (١٥٠هـ)وداوود الطائي (١٦٥هـ)ومالك بن أنس (١٧٩هـ) ومعروف الكرخي(٢٠٠هـ)ومن جاء من بعدهم على هذا النمط والاتجاه كأبي ثور صاحب الشافعي والسري السقطي والإمام الشافعي ( ) وأبو الحرث المحاسبي (٢٤٣هـ) وأبو سعيد الخراز (٢٧٧هـ) وسـهل التستري (٢٨٣هـ) وأبو يزيد البسـطامي (٢٦١هـ) وأبو الحسـن النـوري (٢٨٣هـ) وأبو جعفر القصاب (٢٧٥هـ) وأحمد بن حنبل.

(١) لا يعد خروج الإمام زيد جنوحا ولا مخالفة للحق وإنما كان اجتهادا مشروعا أظهر للأمة بخروجه شَرِّيَة البغاة وخذلان الغلاة وهم الذين أطلق عليهم المسمى الاصطلاحي (الرافضة)، وحمل هذا المسمى سلوك اللاعنين للشيخين وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. كما أطلق على معارضيهم السياسيين مسمى (النواصب) ولا علاقة لأهل النمط الأوسط بهذه الأسماء ومنطلقاتها.

تصوف الأفراد أهل العزمان

وفـي هذه المرحلة نشـطت أقلام العلماء والباحثين لتحليل وتعليل مسـمى التصوف ومبادئـه وأهدافـه ومنهم من نزع به إلى الاعتدال وهم الغالبية والأكثرية، ومنهم من نزع إلـى الإفراط والتفريـط، وظهرت صوفية الأفراد من أهل العزمـات الذين جعلوا همهم التجـرد عـن كل مظاهر الحيـاة وحملوا النفوس على المجاهدات القاسـية، وقد أشـار الإمام القشيري إلى نماذج منهم في رسالته.

مذهبية التصوف

وتبدأ بظهور الإمام الجنيد بن محمد ٢٩٧هـ وكان قد أخذ عن جملة من علماء عصره وعن خاله السري السقطي، وأخذ السري السقطي عن معروف الكرخي، والكرخي عن داؤد الطائـي، والطائي عن حبيب العجمي، والعجمي عن الحسـن البصري، والبصري عـن الإمـام علـي رضي الله عنـه، ومن طريـق أخرى أخـذ معروف الكرخـي عن علي الرضا، وعلي الرضا تأدب بوالده موسى الكاظم، وموسـى تـأدب بأبيه جعفر الصادق والصـادق تـأدب بأبيه محمد الباقـر، والباقر تأدب بأبيـه علي زين العابديـن رضي الله عنهم وأرضاهم.

واعتنـى الجنيـد بضبـط مسـائل التصـوف واتجاهاتـه وحرره مـن إفـراط المفرطين والمفرطين وإن كانوا من مشايخه.

وجاء في الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء واللغة (١/ ٦٢٦) ولقد وقـف الجنيـد موقفا له خطـره في تاريخ التصـوف حين أراد فكرة التوفيـق بين الحقيقة والشـريعة، وقـال أيضـا: وهو أول من صـاغ المعاني الصوفية تعبيرا وشـرحا وتفسـيرا وحررها تحريرا.

قـال ابن تيمية في مجمـوع الفتاوي (ج٥/ ٤٩١) بعد أن ذم عقيـدة الحلول والاتحاد لبعض الصوفية قال: ولهذا كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى وقد عرف

مـا يعرض لبعض السـالكين في سـيرهم، ولما سـئل عـن التوحيد قـال: التوحيد إفراد الحـدوث عـن القـدم، فبين أنه تمييـز المحدث عن القديـم تحذيرا من عقيـدة الحلول والاتحاد.

وقال أيضاً: الجنيد وأمثاله طائفة أئمة هدى ومن خالفه في ذلك فهو ضال.انتهى.

وإلى الإمام الجنيد تنتهي أسانيد التصوف في معانيه الوسطية الشرعية، والإمام الجنيد أخذ عن خاله السري السقطي وصحب الحارث المحاسبي والمحاسبي صحب أستاذه بشـر الحافـي والحافي صحب أسـتاذه عامر بن شـعيب وابن شـعيب صحب الحسـن البصري.

ومـن طريق آخر صحب السـري السـقطي معروف الكرخي والكرخـي صحب داود الطائي والطائي صحب حبيب العجمي وأخذ العجمي عن الحسن البصري.

ومـن طريق آخر أخذ معروف الكرخي عن موسـى بن علي الرضا، وعلي بن موسـى تـأدب بأبيه موسـى الكاظم، والكاظم تـأدب بأبيه جعفر الصادق والصـادق تأدب بأبيه محمد الباقر ...الخ.

ومن طريق آخر بشـر الحافي صحب الفضيل بـن عياض، وابن عياض صحب جعفر الصـادق وصحـب أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن الجلاء وابن الجلاء صحب أبا تراب عسكر بن حصين النخشبي، والنخشبي صحب حاتم الأصم وحاتم صحب ابراهيم بن أدهـم وإبراهيم صحب موسـى بن زيد وموسـى صحب أويـس القرني وأويس صحب الإمام علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب.

وهذه سلسلة السند الصوفية للشيخ أبي القاسم الجنيد سيد الطائفة

قال عنه أبو نعيم في الحلية: اشـتغل بالعبادة ولازمها حتى كبر سـنه وصار شـيخ وقته وفريـد عصره فـي علم الأحوال والـكلام على لسـان الصوفية الزهـاد وطريقة الوعظ، تصدر للفتوى في حلقة أبي ثور الكلبي وعمره عشرون سنة.

وللإمـام الجنيد فـي فقه الطريق العديد من الكتب والرسـائل والمقالات وكلها تدور في فلك التقعيد لهذا العلم وضوابطه ومصطلحاته وتطبيقاته.

وقـد نقـل عن الإمـام الجنيد تأكيـده على تسلسـل منهج النمـط الأوسـط بقوله فيما رواه عنـه أبو عبد الرحمن السـلمي صاحبنا في هـذا الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله

وسـلم عـل بن أبي طالـب ذاك امرؤ أعطـي علما لدنيا، وقـال كذلك فيمـا رواه عنه أبو نصر الطوسـي في اللمع رضوان الله على أمير المؤمنين علي لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة) اهـ.

تحرير التصوف والعلوم الشرعية عن الفلسفة وتجديد روح الإسلام

(الإمام أبو حامد الغزالي) رجل القرن الخامس

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (حجة الإسلام)، ولد عام ٥٤٠هـ ١٠٥٨م بقرية (غزالة) ونسب إليها ببلد طوس من أرض فارس وبها أخذ مبادئ العلوم.

ثم انتقل إلى (جرجان) وطلب العلم فيها على يد إسماعيل بن سعده الإسماعيلي، ثم انتقل إلى نيسابور ولازم أبا المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين، وأخذ عنه معظم العلوم وألف كتابه (في علم الأصول) فقال له الجويني : ليتك صبرت حتى أموت) لما رآه من ذكائه وقوة استيعابه وتوفي الجويني ٤٧٨هـ، ولما بلغ الغزالي من العمر ٣٤ سنة رحل إلى بغداد وعمل مدرسا في المدرسة النظامية بطلب من الوزير السلجوقي (نظام الملك؟) واشتهر في تلك الفترة وصار مقصد الطلاب من سائر البلدان، واشتغل بكتب التصوف كقوت القلوب لأبي طالب المكي والحارث المحاسبي والحسين والشبلي وأبا يزيد البسطامي وأخذ علم التصوف عن الشيخ الفضل بن محمد الفارمذي الصوفي وهو تلميذ أبو القاسم القشيري وبعد أربع سنوات قرر أن يعتزل التدريس متأثرا بما أطلع عليه من كتب الصوفية فخرج من بغداد متخفيا وتنقل بين دمشق والقدس والخليل ومكة والمدينة المنورة قرابة ١١ سنة وألف خلالها كتابه المشهور (إحياء علوم الدين) حرر فيه علوم التصوف عن منحى الإفراط والتفريط شريعة وحقيقة وفلسفة[١] ، ثم عاد إلى بلده (طوس) في ذي القعدة سنة ٤٩٩هـ ووزع أوقاته على مجالس القرآن ومجالس الصوفية، وتدريس طلاب العلم والقيام بالصلوات والطاعة، واتخذ جوار

---

(١) متأثرا بما كتبه الشيخ أبوب طالب المكي في قوت القلوب، بل وأخذ عليه ما أخذ على صاحب القوت تساهله في نقل الأحاديث الواهية، ووضع بعض الصلوات في الليالي والأيام لا أصل لها .. قلت وكان هذا الفعل معهودا في ذلك العصر باعتبار ترجيح إشغال المريد بفضائل الأعمال إلا أن فقهاء الحديث لم يأخذوا هذا الاعتبار في النقد والتجريح إلا في الأحاديث الضعيفة بشروط.

بيته مدرسة للفقهاء ملجأ (خانكاه) للصوفية وتصدر للتعليم والتسليك، وأخذ عنه الكثير من أبرزهم أبوبكر بن العربي، والشيخ عبد القادر الجيلاني حتى قبل وفاته تأثر بالإحياء فألف على غراره كتابه الغنية.. ذكره كتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني رؤية تاريخية معاصرة

وكانت الفلسفة في هذا العصر قد أثرت على تفكير الكثير من الأذكياء والعلماء وأدى ذلك إلى التشكيك في ثوابت الدين الإسلامي وتصدى الغزالي لذلك بعد أن عكف على دراسة الفلسفة لأكثر من سنتين، وألف كتابه (مقاصد الفلاسفة) ثم (تهافت الفلاسفة) حتى قيل أنه قضى على الفلسفة العقلانية في العالم الإسلامي في كتاباته، وأشار إلى ذلك في كتابه المنقذ من الضلال كما درس علم الكلام وتصدى لما تناولوه من الزج بالعقائد والإلهيات وحررها من العقلانية إلى الأخذ بنصوص الشريعة.

توفي الغزالي يوم الإثنين ١٤ جماد الآخر ٥٠٥هـ ١٩ ديسمبر ١١١١م ولم يعقب سوى البنات).

وبالجملة فالإمام أبو حامد الغزالي كان مِفْصَلا تاريخيا في رحلة التصوف وضبط مسيرته النمطية، جامعا بين سابق ما تناوله الإمام الجنيد ومن جاء من بعده كأبي طالب المكي والإمام الجويني، ومزج مزجا فلسفيا شرعيا بين علوم الشريعة والعقيدة والحقيقة، وخرج بالخلاصة الجامعة في جملة من كتاباته ودافع عن منهج النمط الأوسط من كافة الشوائب المنحرفة سواء من أهل الإفراط أو من أهل التفريط ودفع الفلاسفة وعلماء الكلام في ما تناولوه من الزج بالعقائد والإلهيات في الأخذ بالعقليات وتحكيم الفهوم الظنية على النصوص الشرعية، وفي عهده ظهرت مدارس التصوف والربط المعروف لاجتماع المريدين والفقراء وطلاب العلم وإيوائهم.

مرحلة بناء هيكلة الطرق الصوفية وقواعدها

(الشيخ عبد القادر الجيلاني)

يعتبر الشيخ الإمام عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني أول من وضع هياكل الطرق الصوفية كمجموعات ذات انتماء وولاء لمشيخه معتبرة في التسليك ولأخذ الإسناد، وكتب الشيخ عبد القادر ضوابط التلقي والترقي والتوقي في جملة من كتبه ورسائله، ووضع أول مدرسة إسلامية صوفية تعتني بتربية المريدين على منهج النمط الأوسط بعيدا عن الإفراط والتفريط، وجعل أساس التلقي والترقي (المجاهدة ـ العلم والعمل ـ الإخلاص) كما جعل ضابط الطريقة الصوفية (الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي) تحت القواعد التالية:

١- أخضع التصوف لعلم الشريعة بقوله: كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة.

٢- منع التصوف والشريعة أن تدور في فلك السياسة وأنكر على علماء السوء الذين يصحبون الملوك والحكام ويخضعون لهم علوم الشريعة ونصوصها.

٣- نفى العصمة عن الشيوخ لدى المريدين الذين ينظروا إلى شيوخهم من خلال بشريتهم الملتزمة بأحكام الشريعة وثمراتها.

٤- شدد النكير على الاشتغال بالسماع وترك مجالس القرآن وتدارس العلم الشرعي والذكر والأوراد.

الطريقة القادرية الجيلانية (أم الطرق الصوفية)

تصدر الشيخ عبد القادر الجيلاني للتدريس في مدرسة شيخه أبا سعيد المخرمي بعد وفاته، وظهر أمره وكثر تلامذته والآخذون عنه حتى ضاقت بهم رحاب المدرسة المخرمية فابتنى في جهة سور بغداد الجنوبية مدرسة جديدة سميت بالمدرسة القادرية وأسهم الناس من غني وفقير ورجل وامرأة في بنائها وربما تصدقت المرأة بمهرها للمساهمة في بناء المدرسة وكان إتمامها في ٥٢٨هـ-١١٣٣م واستقبل الشيخ عبد القادر فيها طلبة العلم ومريدي الطريق من كل حدب وصوب.

وصارت هذه المدرسة طيلة حياة الشيخ عبد القادر مركز إشعاع علمي دعوي رفد الأمة الإسلامية بالكثير من العلماء والدعاة المخلصين الذين صار لهم فيما بعد دور في مواجهة الخطر الصليبي والرافضي المتطرف، وفي عام ٥٠٥هـ خرج الشيخ عبد القادر إلى حج بيت الله الحرام فتسامع الناس بخروجه فجاء المريدون من كل حدب وصوب لأخذ الطريقة والارتباط بالشيخ فألبس وأجاز المئات من حجاج ذلك العام وأذن لهم في نشر الطريقة بشروطها فكان هذا رافدا للطلاب الذين تلقوا عنه في المدرسة القادرية ببغداد.

وممن أخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني في عام حجته الشيخ مدافع بن أحمد العيني[1] المنسوبة إليه أسانيد الطريقة القادرية في بعض أنحاء اليمن وتوفي بظفار.

وممن أخذ عنه الطريقة من سادة حضرموت الشريف نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن جديد بن عبيد الله بن أحمد المهاجر، والشيخ الفقيه الشريف عبد الملك بن محمد بن أحمد جديد بن عبيد الله بن أحمد المهاجر، وصحبا الشيخ مدافع مدة

---

(١) يبدو أن مسمى (الشيخ مدافع) أطلق على رجلين في اليمن الأول العيني المتوفي بظفار وهو الذي أخذ عن الشيخ عبد القادر عام حجته، والثاني الشيخ مدافع بن أحمد الخولاني وهو الذي أخذ عن الشيخ علي بن إبراهيم الحداد، ولم يدرك الشيخ عبد القادر الجيلاني، وعن الشيخ مدافع أخذ الطريق كل من السيد علي بن جديد بن عبيد الله بن أحمد المهاجر وأخيه عبد الملك وتزوجا بإبنتيه، ويعتبر هذا السند .. السند الثاني لمدرسة حضرموت عن الطرق الصوفية حيث كان السند الأول أخذ الإمام عبيد الله بن أحمد المهاجر عن الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب.

طويلة وتزوجا ببنتيه وسكنا في ناحية (ذي دهم) من أعمال تعز (راجع قلادة النحر لبا مخرمة)، والجندي، وابن سمره، والمشرع الروي، اهـ ولانقطاعهم عن حضرموت لم يرتبط بأسانيدهم أحد في حضرموت.

وللشيخ عبد القادر الجيلاني في أنحاء اليمن جملة من المريدين الذين نشروا سند الطريقة ومنهم الشيخ علي بن إبراهيم الحداد وهو الذي نشر الطريقة في تعز والمعافر، وقد أخذ الحداد عن الشيخ عبد القادر عام حجته.

وممن أخذ عن الشيخ من أهل اليمن الشيخ محمد بن سنان الأحوري من رجال القرن السادس أدرك الشيخ وصاحبه ونشر طريقته في أنحاء من اليمن، وممن أخذ عنه الشريف أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الأهدل[1] والشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي، والغيث بن جميل، وأبوبكر بن علي الأهدل، وأما علي الأحوري فهو حفيد الشيخ محمد بن سنان الأحوري وكان أخذه عن بعض شيوخ اليمن (راجع طبقات الخواص والسلوك للجندي.

وعن الغيث بن جميل أخذ الشيخ أحمد بن علوان وأخذ عن أبي حفص عمر بن المسن المعروف بالطيار ٦٤٠هـ وهما أخذا عن الشيخ عثمان بن سارح عن الشيخ علي بن إبراهيم الحداد عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإلى الشيخ الحداد .. أيضا ترجع خرقة الشيخ أحمد بن أبي الجعد صاحب أبين، والشيخ سالم العامري صاحب المسيجيد[2]، وفي مصر نشر الطريقة القادرية الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الحنبلي كان مفتيا لمصر على مذهب الإمام أحمد.

---

(١) واعتنى السادة الأهادلة بأسانيدهم وأسسوا في بلاد التهائم منهج التصوف المسند على صفتين:

الأولى: سندهم المتصل إلى أبائهم وأسلافهم من السادة آل البيت.

والثانية: السند الآخر ارتباطهم بالشيخ عبد القادر الجيلاني عبر السند المشار إليه.

(٢) المسيجيد قرية صغيرة بين أبين وشقرة يطلق عليها (الشيخ سالم) وفيها قبر الشيخ سالم العامري، ومن ناحية غرب المسيجيد توجد الطربه بلد ومدفن الشيخ أحمد بن أبي الجعد.

الطُّرق الصوفية المتفرعة عن الطريقة القادرية

بعد وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في ١٠ ربيع الثاني ٥٦١هـ ظلت المدرسة القادرية تربي المريدين والسالكين ومنها تخرج العشرات من الشيوخ الأجلاء الذين أقاموا في أوطانهم من مبسوط الأرض طرقا صوفية منها ما حمل مسمى الطريقة القادرية ومنها ما حمل مسمى مؤسسها في الشرق والغرب، وصارت الطرق الصوفية كيانا اجتماعيا دينيا ينظم إليه المئات في كل بلد وصقع وبرز من هذه الطرق الصوفية على محيط التأثير في القرنين الخامس والسادس وكذلك مطلع القرن السابع الطرق الصوفية الآتية:

١- الطريقة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني ولد في (٤٧٠هـ) القرن الخامس، (ت ٥٦١هـ) القرن السادس[١].

٢- الطريقة الرفاعية للشيخ أحمد علي الرفاعي، ولد في قرية حسن من أعمل واسط بالعراق المعروفة بأم عبيدة (٥١٢هـ) (ت ٥٧٦هـ) القرن السادس، وقيل ٥٧٨هـ، وللرفاعية راية ذات لون أسود وأصل طريقته الكتاب والسنة قال عنها في البرهان المؤيد: أي سادة كانوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهرا وباطنا، فمنكم الفقهاء والعلماء، ولكم مجالس وعظ ودروس تقرؤنها وأحكام شرعية تتعلموها وتعلموها الناس بذلت نفسي ولم أترك طريقا إلا سلكته فلم أجد أقرب وأوضح وأوجب من العمل بالسنة المحمدية والتخلق بخلق أهل الذل والانكسار والافتقار.

وقد حاول بعض اتباعها أن يشوهوا الصورة الوضيئة للطريقة الرفاعية بالشعوذة

---

(١) ومن هذه الطريقة تفرعت طرق عديدة على يد تلاميذ الشيخ عبد القادر ومنهم: الشيخ عدي بن مسافر وأخذ عن الجيلاني وعن السهروردي، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الحنبلي الذي كان مفتيا لمصر على المذهب الحنبلي، وأبي السعود الحريمي وقد لازم الشيخ طيلة حياته وإليه صارت المشورة بعد وفاته توفي ٥٨٢هـ، وعمر بن مسعود البزاز، والشيخ عبد الله الجبائي وانتقل إلى أصفهان وأنشأ فيها الطريقة، وأبومحمد ماجد الكردي توفي ٥٦٢هـ، وحياة بن قيس الحراني كان من أنصار صلاح الدين الأيوبي في جهاده توفي ٥٨١هـ، والشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد الأسدي وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

واللعب بالأفاعي وأكل الزجاج والضرب في الأجسام بالسيوف وغيرها، ولكن الإمام الرفاعي نفسه قد برأ من هؤلاء فقال: (إياكم والدجالية إياكم والشيطانية إياكم والطرق التي تقود كلا الوصفين)[1]، وللطريقة الرفاعية فروع معتدلة في كثير من بلاد العرب والمسلمين.

٣- الطريقة الشعيبية المغربية للشيخ شعيب أبي مدين[2] (ت٥٩٤هـ) القرن السادس[3].

---

(١) الطرق الصوفية د/ عامر النجار.

(٢) الشيخ شعيب أبومدين بن حسين الأنصاري التلمساني توفي ٥٩٤هـ أخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة، وقرأ عليه في علم الحديث ولبس منه الخرقة ودخل المغرب شرق الجزائر بمدينة بجاية واستقر فيها وأخذ بها عن الشيخ علي بن الحسن بن علي حرزهم وسند الإمام الغزالي كما أخذ عن الشيخ علي أبي عبد الله الدقاق، ثم انتقل إلى بجاية وله تلامذة كثيرون ومنهم الشيخ عبد السلام بن مشيش مؤسس الطريقية المشيشية وهو من قبائل بني عروس شمال المغرب رحل إلى المشرق وأخذ عنه جملة من الشيوخ كالشيخ عبد الرحمن المدني ## ثم عاد إلى وطنه وأخذ عنه جملة من الشيوخ ومنهم الإمام أبو الحسن الشاذلي، وظل كذلك حتى قتل بين عام ٦٢٢ه، ٦٢٥هـ ومن تلاميذه أبو العباس المرسي وأبو سعيد الباجي.

(٣) تفرعت الطريقة العلوية الحضرمية عن الطريقة الشعيبية واتصل سندها بالقادرية بواسطتها إذ بعث الشيخ شعيب مبعوثه عبد الرحمن المقعد إلى مكة وتوفي بها وأناب عنه في إيصال الخرقة إلى حضرموت الشيخ عبد الله صالح المغربي وبه اتصلت الطريقة العلوية بسند الشيخ شعيب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى شيوخه، كما أخذ الطريق عن الشيخ الصالح المغربي الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، جاء في الجزء اللطيف في التحكيم الشريف للسيد الشريف أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس (ص١٦) فإن الغالب على أهل اليمن وأسانيدهم المشهورة انتماؤهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ما خلا النفر القليل كالسادة الأشراف آل با علوي وآل العمودي والشيخ العارف بالله جوهر العدني وجد آل با معبد اهـ.

ويذكر أيضا أن للشيخ القديم با عباد خرقة وبيعة وسند متصل بالقادرية ارتبط بها جملة من أهل وادي حضرموت كان منهم آل الزبيدي ومنهم الشيخة سلطانة في بداية سلوكها، ثم لما ظهرت الطريقة العلوية بحضرموت تأدب الجميع ودخلوا تحت ظلها مثل الشيخ سالم بن أبي فضل الذي أخذ القادرية في العراق ثم بعد عودته إلى تريم انطوى في طريق السادة بني علوي باعتبار الأسانيد المشتركة بين الطريقتين، ومنها أي من الشعيبية تفرعت الشاذلية المشيشية حيث أخذ الشاذلي عن

ويعد شيخ مدارس التصوف في المغرب العربي والأندلسي

٤- الطريقة الشاذلية للشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) القرن السابع وهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الجبار الشاذلي ولد عام (٥٧١هـ) في قبيلة الأخماس الغمارية بالمغرب تفقه وتصوف على الشيخ علي بن عبد السلام بن مشيش الذي أخذ الطريق عن الشيخ شعيب أبي مدين، وأخذ عنه الطريقة ورحل إلى تونس وإلى مصر وأقام بالاسكندرية توفي في وادي حميثرة بصحراء عيداب متوجها إلى مكة في ذي القعدة (٦٥٦هـ).

٥- الطريقة البدوية للشيخ أحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ) القرن السابع، ونسب الشيخ أحمد ينتهي إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، ولد في فاس عام (٥٩٦هـ)، ولقب بالبدوي لأنه كان دائما يغطي وجهه باللثام مثل أهل البادية وسمي شيخ العرب الملثم سافر صغيرا إلى مكة ثم عاد مع أهله إلى العراق ثم إلى مصر واستقر بطنطا وأظهر بها طريقته.

٦- الطريقة الدسوقية للشيخ إبراهيم الدسوقي (ت ٦٧٦هـ) القرن السابع، هو الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز أبو المجد لقب بالدسوقي نسبة إلى مدينة دسوق شمال مصر التي عاش فيها حتى وفاته، تأثر بآراء الإمام الشاذلي واتصل بالشيخ أحمد البدوي في طنطا مصر ويرتفع نسبه إلى الإمام الحسن السبط عليه السلام تولى منصب شيخ

محمد بن حرازم وابن حرازم أخذ عن الشيخ محمد الدكالي والدكالي أخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وللشاذلية طريق آخر عن الشيخ عبد السلام بن مشيش ٦٢٥هـ عن أحمد سيد بونا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، واختطت طريقة بني علوي بوحدة مدرستها ومبادئها، ولم يتفرع عنها طرق أخرى دخلت إليها وانطوت فيها عدة اتجاهات وطرق أخرى كالشيخ سالم با فضل وكان يحمل سند الطريقة القادرية من العراق، والشيخ با عباد صاحب شبام، والشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي، وكان مبتدأ سلوكها على يد الشيخ با عباد.

وللطريقة العلوية سند صوفي أبوي آخر عن الفقيه المقدم إلى الإمام أحمد المهاجر إلى أبيه عيسى إلى أبيه محمد إلى أبيه الإمام العريضي إلى أبيه جعفر الصادق إلى أبيه محمد الباقر، إلى أبيه الإمام زين العابدين إلى أ[يه الإمام الحسين وعمه الحسن إلى أبيهما علي بن أبي طالب وأمهما السيدة فاطمة الزهراء إلى أبيها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الإسلام في عهد الظاهر بيبرس.

وتفرع عن هذه الأمهات طرق أخرى عديدة منها الطريقة الخلوتية[1] والطريقة النقشبندية[2] والتيجانية[3]، وتسمى الطريقة السهروردية القادرية تنسب إلى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي ولد في رجب ٥٣٩هـ وتوفي في ٦٣٢هـ رحل من (سهرورد) إلى بغداد وصحبه عمه أب النجيب وأخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني.

وأخذ عن السهروردي العز بن عبد السلام والحافظ الذهبي، وألف الشيخ السهروردي كتاب عوارف المعارف وكان شيخ وقته في علوم الحقيقة وأسس طريقته

---

(١) الخلوتية إحدى الطرق الصوفية السنية تنسب إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي المتوفي بمصر في القرن العاشر (٩٨٦هـ)، والخلوتي نسبة إلى (الخلوة الصوفية) وكان من أتباع الطريقة السهروردية، وللطريقة الخلوتية فروع جمة، منها الطريقة السمانية للشيخ عبد العزيز بن محمد المحمل، والشبراوية للشيخ محمد عبد الخالق الشبراوي وغيرها من الطرق العديدة المنتشرة في تركيا والجزائر .. عن الانترنت.

(٢) النقشبندية: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند محمد البخاري المعروف (بشاه نقشبند) أخذ الطريقة اليوسويه والنقشبندية امتداد للطريقة اليوسويه، وتنسب إلى الشيخ أحمد يوسوي، وهي منتشرة في تركيا وخرسان وما وراء النهر، وانظم إليها كثير من الأفراد والعادة في الدولة العثمانية وكان لأتباع هذه الطريقة دور في محاربة الروس في منطقة وسط آسيا.، وللطريقة النقشبندية فروع كالطريقة الملامية النقشبندية للشيخ عبد الله الإلهي الذي عاش في عهد السلطان العثماني با يزيد الثاني، والنقشبندية ينسبون طريقتهم بالسند إلى سيدنا أبي بكر الصديق والإمام علي رضي الله عنهما، وإلى هذه الطريقة ينسب محمد الفاتح وغيرهم من قادة العثمانيين.

(٣) التيجانية: إحدى الطرق الصوفية تنسب إلى أبي العباس أحمد التيجاني واسمه أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني المتوفي في (١٢٣٠هـ) بالجزائر وأتباعه في شمال إفريقيا كمصر وفلسطين والشام والحجاز والسودان وموريتانيا والسنغال ونيجيريا، ولد المؤسس عام ١١٥٠هـ في قرية (عين ماضي) بولاية الأغواط بالجزائر، ورحل طلبا للعلم في بلاد كثيرة إلى فاس وتلمسان وتونس ومصر ومكة والمدينة وبغداد.

وقد نحا بعض أتباعها إلى الإفراط في الإعتقادات والرسوم، مع أن الشيخ أحمد التيجاني يقول: (إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به، وإن خالف فاتركوه).

فـي بغداد وانتشـرت شـرقا وغربا وبالذات في الديـار الهندية وغيرهـا، وكل طريقة من هذه الطرق تحتاج إلى دراسـة خاصة لإيضاح المسـار الذي سار عليه المترسمون بهذه الطرق من حيث منهج الاعتدال أو الوقوع في علل الإفراط والتفريط.

تبرئة شيوخ الطرق الصوفية من إفراط وتفريط الأتباع

هناك فرق بين مؤسسي الطرق الصوفية وقواعد سير الطريق التي اختاروها لأتباعهم، وبين الكثير من الأتباع الذين يضيفون إلى الطريقة والمشيخة طقوسا ومفاهيم لا تمت إلى منهج الطريقة بصلة، وقد عمت هذه الظاهرة السلبية الكثير من أتباع الطرق الصوفية ما صار مغمزا للتصوف كله.

والمغامز التي تقال في التصوف والصوفية أنواع:

- منها ما هو قائم على النقد الإيجابي أمام ما يقع من إفراطات إعتقادية وطقوس اجتماعية ما أنزل الله بها من سلطان بل قد تخالف ظاهر الشرع وباطنه.
- ومنها ما هو تحامل واستخفاف ناتج عن فهم المتحامل ومن حام في مجاله وفكرته وفهمه.

والأخطر في المغامز ما برز في المراحل الأخيرة من نسبة التصوف والصوفية عموماً إلى الشرك الأكبر، وإخراج أهل هذا المنهج عن ربقة الإسلام كله، ويفسر هذا الموقف من وجهة نظرنا أنه إفراط في الحكم أكثر من كونه تقييما للإفراط والتفريط.

وإذا ما جردنا موضوع التصوف والصوفية عن الملابسات التي طرأت على مسيرة الطرق الصوفية وأعدناه إلى جذوره الشرعية لوجدناه فهما سليما وقويما ولا تشوبه من قواعده شائبة إفراط ولا تفريط، وإنما الإفراط والتفريط من أتباع هذه الطرق الصوفية وما ابتدعوه بجهل أو سذاجة أو فهم سيء لنصوص الشرع الشريف.

وحتى لا نضيع الوقت في هذه المعامع التي لم يخرج منها أحد بفائدة ... نرى أن العود من أهل الطرق أنفسهم إلى منهج الاعتدال منهج أهل النمط الأوسط هو الحل الأمثل لمعالجة كافة ما قيل وما يقال وما سيقال، وخاصة في هذا العصر التي انتشرت فيه وسائل الاتصال والتواصل ورصد البعض العديد من الحركات والشطحات والمفاهيم المغلوطة التي تصدر من منسوبي بعض الطرق في حضراتهم ومجالسهم وزياراتهم ومناسباتهم.

ولربما يستوحش الكثير من أتباع الطرق هذا التوجيه ويعدونه وقوفا إلى جانب المدارس الضدية للتصوف، والحق الذي لا غبار عليه أن الاستيحاش ما هو إلا من

باب (العزة بالإثم) واستنكاف لقبول الحق وإصرار على الانحراف وفقه المبررات والمغالطة.

ومثل هذه المواقف السلبية لم يعد لها من حاجة في طريق السلامة والأمان المرجوة للأمة حيث أن تجنيب الإفراط والتفريط لا ينقص الطرائق ولا يسلبها توجهها الروحي، وإنما يعيد لها نصاعة الارتباط العادل بالمنهج الأبوي النبوي الشرعي القائم على الكتاب والسنة وعلى ما اختاره الأئمة العدول من أهل النمط الأوسط ففيه إقامة الحق وإخراس ألسنة المتقولين بحق أو بغير حق.

خلاصة النمط الأوسط (سادة الصلح وبقية السيف) ومن تبعهم بإحسان

لقد ثبت يقينا أن المقولة المنسوبة للإمام علي رضي الله عنه حددت مساراً تاريخيا معتبرا من قوله فيما رواه بن شيبة في مصنفه: ((خير الناس هذا النمط الأوسط يرجع إليهم الغالي ويتبعهم التالي)) حيث كشف بثاقب بصيرته مستقبل الزمان في مسيرة أهل الإسلام والإيمان والإحسان وما عاناه في مرحلته المبكرة من أطراف الإفراط والتفريط في أشكالها الأولى ونماذجها الأساسية، ولا شك أن هذه العبارة كانت من العلم المكنون الذي عَلِمَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو بلا شك باب مدنية العلم وله نصيب وافر من قراءة المستقبل ومن هذه القراءة هذه العبارة التي حددت مسيرا تاريخيا هاما في تسلسل الميراث النبوي الشريف، فالميراث أمانة، والخونة في تاريخ التحولات قوم كثر، والاحتراز للدين وظيفة الوراث العدول، وقد علمته عليه السلام التجربة العملية في مراحل حياته كيف تسير الأمور وكيف تكون الموافق حيالها، حيث مرت حياته بين بسط أسباب السلام في قضايا الحكم والعلم،، وبين تجريد السيف لاجتثاث الإفك والظلم وتبين له بيقين أن سلامة الديانة مرهونة بسلامة حمل القرار فيهما فقال مقالته التي نراها مرجعا وأساسا في مسلك أهل النمط الأوسط، ويؤيد هذا المنحى ما وقفه من بعده ولده الإمام الحسن السبط الذي التزم النص الشرعي لمرحلة الخلافة ورغب السلام للأمة واتبعه في هذا الموقف الجل الغفير، ولم يشذ عنه إلا أهل الإفراط والتفريط، وجاء الإمام الحسين مجسداً سلوك أهل النمط الأوسط بين المحبين الخاذلين والبغاة القاتلين بزهده المتميز في الحياة كلها مدافعا عن موقفه وعن عرضه وأهل بيته، وكملت حلقة التثبيت لهذا المنهج القويم مجسّدة كمال الوعي لدى الإمام علي زين العابدين، وقد استوعب مجريات المراحل وما كان في مسرحها من الفتن الساحقة الماحقة، فأعرض عن تهوكات

المحبين الخاذلين، وعن تمحلات ومبررات البغاة القاتلين، وأسس النمطية الوسطية التي أشرقت بها شمس السلام والرعاية للإرث النبوي المتين، واستبدل صراع الأسلحة والأخذ بالثار والمطالبة بالحكم وامتلاك القرار إلى سلاح الطاعة والعبادة وبناء أجيال السلامة وأمناء الملة الوارثين، وأغلق بابه ومن معه ممن أخذ عنه العلم والإسناد أمام الزفير والشهيق والنعيق والزعيق .. ليضعوا مدرسة الزهد القائمة على شرف الإحسان المنصوص عليه بالتجرد للعبادة بعيدا عن صراع العباد : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

لقد كان هذا العرض السالف تأكيدا على إبراز دور تيار شرعي فاعل .. عرفه الإسلام في أشد مراحل التحول التاريخي تيار كان له الدور الفاعل في حفظ الإرث النبوي الشرعي على الوجه السديد السليم بعيدا عن الفتن المظلة وأئمتها وما من حدث أو ميدان جهاد شرعي إلا وكان هذا التيار بارز المعالم وصدر الملاحم يشير إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يحمل هذا العلم)) وفي رواية ((يرث هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)) وبهم حفظت الشريعة والعقيدة ومراتب السلوك في أركان الإسلام والإيمان والإحسان، ويتقدمهم أكابر آل البيت النبوي وسلالات المهاجرين والأنصار والتابعين وتابعيهم بإحسان .. لا يشاركون حاكما في حكمه ولا ينازعون حامل قرار في قراره، ولا يؤيدون ظالما في ظلمه، أقاموا بذكر الله وخدمة دين الله علما وعملا ودولة الحق الناصع في أحلك الظروف، فظهرت بهم مذاهب الفقه والعقائد السليمة، ودفعوا صولة المفرطين والمفرطين وأفهامهم العقيمة، سواء في عصور الفتن الأولى بعد مقتل الخليفة الثالث والرابع أو بعد المرحلة الكربلية العاقرة وما ترتب بسببها من تفرق واختلاف، إزداد به تيار الحق حفظا وصلابة على مر عصور التقلبات السياسية والفكرية سواء في العهد الأموي أو العباسي أو عهد الدويلات والتمزق بل ومنهم ظهر المجاهدون الأبرار كصلاح الدين الأيوبي وعبد القادر الجزائري، وأمراء الفتح العثماني المجيد، وبرغم ما شاب هذا التيار الشرعي المعتدل من شوائب بعض الاتباع وفهوم الغلو والابتداع، فلم يزل أهل الصدق سالكين الجادة حافظين ومحافظين على شرف الإسناد وإصلاح العادة والعبادة حتى جاء عهد الغثاء المسيس وانقلب ميزان القوى على يد من نافق

وتدنس وتدخلت قوى الفكر والاستعمار تملك مفصل القرار وتضعف مناهج التعليم والتربية في كل الأقطار، وتمد أصابعها إلى كل دار وجدار، فرفعت شأن الأضداد وتيارات الإفراط والتفريط في كل بلاد، ومنحتهم من الإعداد والاستعداد ما حجب الحق وأهله عن تحقيق المراد، وأثيرت حولهم الشبه والريب من الحساد، فبقي هذا التيار الوسطي الشرعي تيارا شعبيا في قاع المجتمع الإسلامي يمارسه البسطاء وخواص الخواص ممن إذا رؤوا ذكر الله .. منهم من حمل الراية بعلم ودراية، ومنهم من خلد إلى الخمول والعزلة في الوسيلة والغاية، وظهر جيل الحداثة والبعثات والدراسات بين الغيرة والحيرة، وأغربت سفينة الحضارة بأسباب العلوم نحو النظريات والتطبيقات، وبها تعلق جيل المدرسة والجامعة وانقطعت تربية الدين الشرعي المعروفة بعلم الإحسان وما تفرع عنه من مفهوم الزهد والتصوف، وركن الجل الأوسع إلى التكذيب بالأحوال والمقامات والمراتب والكرامات وانفعال الظواهر في حياة الأولياء والصالحين وتحجرت العقول تحجر المادة الصلبة، واستمرأت أطروحات الغرب والشرق لتأخذ الالحاد والعلمانية وكأنها عين ثقافة الناشئة والطلاب وأغرار المثقفين ولم يبق للجميع عدو غير الإسلام في صورته الأبوية التقليدية ونُحتت لأجيال الصورة المتحركة والساكتة عقيدة وديانة من نوع جديد تتلاءم مع لهيب العواطف والشهوات قاد مسيرتها العديد من حملة القرار ودعاة الاستقرار وزمر المتأثرين بثقافة الاستعمار والاستهتار والاستثمار.

وازدادت الحيرة لدى من بقي من أتباع مسمى النمط الأوسط حيث لا يحملون الإعدادات العلمية الكافية للدفاع عن منهجهم وطرائقهم، ولا يستطيعون التحكم في أتباعهم وأشياعهم الذين خبطوا خبط عشواء، وحولوا شرف المنهج إلى صراع وفعل ورد فعل مع أهل الأفكار المنحرفة والأهواء، ونسأل الله أن يقيض للجميع مخرجاً حسناً من فتن الزمان والمكان والإنسان.

إن أحياء منهج أهل النمط الأوسط يقتضي تكاتفا من الغيورين على سلامة العقيدة، الملتزمين بما التزم به الشيوخ الأثبات في سلسلة الهيكل المعرفي الشرعي المتوارث المتخذين من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة وسيلة الإصلاح والتقريب والمعالجة .. وأول ما ينبغي الاهتمام به في هذا الشان:

١- قبول أشياخ الطرق الصوفية تقييم الحالة التي ينطلق منها ولاء الاتباع لاجتثاث تراكمات الإفراط والتفريط.

٢- تحرير التصوف المعاصر من شبهات الثلب واللمز والهمز التي يتذرع بها أعداء التصوف وأضداده.

٣- دمج العلاقة بين ركائز التدين الثلاث (المذهبية المعتدلة ـ والتصوف النمطي الواضح ـ والولاء لآل البيت من غير غلو ولا جفاء).

٤- توحيد المنبر الإعلامي للتصوف وتجديد لغة الخطاب الوعظي بما يسهم في جمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين الاتباع أولا والمنتسبين لهذا المنهج الوسطي المشروع قبل النظر في مواقف الأضداد واتهاماتهم.

٥- إعادة الدراسة البحثية لمفهوم التصوف قواعد ومصطلحات وتطبيقات وتحرير الوعي الصوفي من كل ما لا يوافق شريعة الإسلام السمحة دون إخلال بثوابت العلم الذوقي وتفرده الروحي.

٦- إعادة النظر في بعض المؤلفات والمراجع المعبرة عن تاريخ التصوف والصوفية بلغة الغلو والإفراط التي لا تتناسب مع حاجة الزمان، وتأصيل انفعال الظواهر والكرامات وعلوم الحقائق مرتبطة بمراتب الإحسان المعلومة من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وما هي الشريحة التي تعنيها أوصاف هذه المراتب قديما وحديثا.

٧- إعادة تثقيف اتباع التصوف بإنشاء المدرسة التعليمة الأبوية الناطقة بلسان الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي مع تحرير منهج سليم يجمع بين ثمرات العلوم الأربعة (الإسلام وهو لغة الشريعة، والإيمان وهو لغة العقيدة ، والإحسان وهو لغة مراتب السلوك وعلوم الحقائق، والعلم بعلامات الساعة وهو لغة قراءة المتغيرات والمستجدات بدراسة علم فقه التحولات).

وأرجوا أن يتفهم القراء دوافع الطرح لهذه النقاط وأهمية المناقشة المستفيضة بعيدا عن التعصب والأنانيد وعلل الأنوية المقيتة ... والله من وراء القصد ...

أهل النمط الأوسط في مسيرة التاريخ

تحـدد تعريف أهل النمط الأوسـط بمن حفظ لسـانه مـن الذم وحفظ يـده من الدم ، مرتبطا بسند أهل العدالة الموصوفون في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقولـه : (يـرث هـذا العلـم ـ وفي روايـة : هذا الدين ـ مـن كل خلف عدولـه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

وفي الحديث إشـارة إلى التحريف والانتحال والتأويل على يد علماء ليسـوا من أهل العدالة والسـند وإنما هم بين غال ومنتحل وجاهل يحرفون الكلم عن مواضعه في كل مذهب ومنهج وطريق.

والسـلامة كل السـلامة فـي طريـق التوسـط والاعتـدال القائـم على ضوابط الشـرع والديانة وخلق صاحب الوحي والرسـالة تحت المعاني المشـار إليهـا في الآية {الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة}

فالكتاب : القرآن والحكم : السنة النبوية والنبوة : الأخلاق والقيم .

فمن أسـقط أمرا من هذه الشـروط الثلاثة نحى إلى الإفراط أو التفريط سـواء كان في المذاهب الفقهية أو الطرق الصوفية أو الدعوات المستجدة السياسية والفئوية والثقافية.

ومنهج أهل النمط الأوسط هو أسلم الطرق وأعدلها في عصر الغثاء والوهن كما كان من قبل أسلم الطرق في عصر الاشتباك والفتن.

وقـد التزمـه العديد من أهـل الديانة ، ولكنهم قليل من قليـل ، ومنهم من نحن ننتمي إليهم ونعتقد سـلامة منهجهم وطريقهم الخاصة من سـاداتنا بنـي علوي صفوة آل بيت النبـوة مـن أقامـوا منهج السـلامة ورعوه حـق رعايته بدأ مـن وادي حضرمـوت ونهاية بأطـراف العالم .. وهـو خلاصة التجارب والمواقـف العلمية والعمليـة والفكرية التي مـرت بالأمـة فـي مراحلهـا المتقلبـة ، دون إفـراط ولا تفريـط ، ولأن لنا به صلـة وثيقة فنحن نتناول هذا المنهج بثقة واقتدار مستصبحين بأنوار مشيخة الطريق المتوارثة سندا وعدالـة .. غيـر ملزمين أحدا باتباعه ، ولا منازعين أحدا في وسـطيته واعتداله فالطريق إلـى الله كما يقولون (على عدد أنفاس الخلائـق) ، وللخلائق طرائق وهم بيد معارض وموافـق ، والسـعيد من وفقه الله لجمع الشـمل ورأب الصدع ، وتجنـب الفتن ما ظهر

منها وما بطن .

ونحيل القارئ في هذا المضمار الخاص بمنهج مدرسة حضرموت إلى كتابنا «فص العقيق في توثيق مراحل فقه الطريق في مدرسة حضرموت» نظمٌ وشرحٌ ، والله الموفق والمعين.

خاتمة

هـذا آخر ما وصلنا في جمـع مقالات هذا الكتاب وكلها تحمل رؤية جديدة في قراءة منهجية التصوف الإسـلامي كما تعزل بين تصوف أهل النمط الأوسط المسند بشيوخه ورجالـه عن تصوف الإفراط والتفريـط، وبهذا التميز نؤكد للقاري أننا سـعينا جاهدين فـي هذا الكتاب لتحرير التصوف المعتدل عن لوثة أهل الغلو وسفسـطات أهل الجفاء الذين شـوهوا علوم الإحسان واستغرقت ألسـنتهم وعقولهم هنّات الفلسفة وشطحات علم الكلام كما ربطنا بين علم الإحسان الشرعي وما تفرع عنه من زهد وتصوف مسند إلى الشـيوخ الأكابر فنسأل الله أن يجعل هذا الجهد مساعداً على إجلاء غموض قضية التصوف والصوفية ، وإيضاح الصورة الناصعة لهذا العلم الشرعي الذي لا ينفصل عن أركان الدين الأربعة.

والله من وراء القصد وهو الموفق في كل حال...

هذا الكتاب

دراسة تحليلية لعلاقة العلوم الثلاثة بعضها ببعض وهي الإحسان والزهد والتصوف.

إبراز أهمية التصوف كمصطلح شرعي يربط الأمة بالركن الثالث من أركان الدين.

يساعد على معرفة منهج أهل النمط الأوسط الذين هم خلاصة رجال الزهد والتصوف.

يقسم التصوف إلى مرحلة مواقف ومرحلة عزمات ومرحلة التجريد ومرحلة مذهبية التصوف ثم مرحلة الطرق الصوفية.

إعتمد هذا البحث على تأصيل علم فقه التحولات المتبني إعادة اللحمة الشرعية بين الثوابت والمتغيرات.

والله الموفق...